الذي تقدر له بالسيئة اي العذاب قبل الحسنة اي الرحمة وذلك ان مشركي
مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او
ائتنا بعذاب اليم تنبيه قوله قبل الحسنة فيه وجهان احدهما متعلق بالاستعجال
ظرفا له والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال مقدرة من السيئة قاله ابو البقا
وقد اي والحال انه قد خلت من قبلهم المثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة
وصدقات اي عقوبات امثالهم من المكذبين افلا تعتبرون وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم والالم يترك على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة معناه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا
وان ربك لشديد العقاب للمصرين على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مقاتل
انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وشديد العقاب اذا عاقب
ولما بين سبحانه وتعالى ان الكفار طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
بسبب طعنهم في الحشر والنشر اولا ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة
ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستيصال ثانيا ثم طعنوا في نبوته بان طلبوا
منه المعجزة والبينة ثالثا وهو المذكور في قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا اي هلا
انزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه اي مثل عصى موسى وناقة
صالح وذلك لانهم انكروا كون القران من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل
سائر الكتب واتيان الانس بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزا مثل معجزا
موسى وعيسى عليهما السلام وكان صلى الله عليه وسلم راغبا في اجابة مقترحاتهم
لشدة التفاته الى ايمانهم قال الله تعالى له انما انت منذر اي ليس عليك غير
الانذار والتخويف وليس عليك اتيان الايات ولكل قوم هاد اي نبي يدعوهم
الى ربهم بما يعطيه من الايات لا بما يقترحون وقرا ابن كثير في الوقف بياء بعد
الدال وفي الوصل بغير ياء وتنوين الدال والباقون بغير ياء في الوقف والوصل
مع تنوين الدال ولما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله تعالى
عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى من ذكر وغيره
وواحد ومتعدد وغير ذلك وما تغيض اي تنقص الارحام من مدة الحمل وما
تزداد اي من مدة الحمل قد تكون سبعة اشهر وازيد عليها الى سنتين
عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك رضي الله تعالى
عنهم وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه
اربع سنين ولذلك سمي هرما وقيل ما تغيضه الرحم من الاولاد وتزيده منهم
يروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه وقيل من نقصان الولد فيخرج
ناقصا والزيادة تمام خلقه وقيل ما ينقص بالسقط عن ان يتم وما يزداد
بالتمام وقيل ما ينقص بظهور دم الحيض وذلك انه اذا سال الدم في وقت الحمل
ضعف الولد ونقصه بمقدار حصول ذلك قال ابن عباس كلما سال الحيض

في وقت الحمل يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر والاية تحتمل جميع ذلك
اذ لا تنافي في هذه الاقوال ويدل لذلك قوله تعالى وكل شيء من هذا وغيره من
الايات المقترحات وغيرها عنده اي في علمه وقدرته بمقدار في كيفيته وكميته
لا يجاوزه ولا ينقص عنه لانه تعالى عالم بكيفية كل شيء وكميته على الوجه المفصل
المبين تنبيه قوله تعالى عنده يجوز ان يكون مجرور المحل صفة لشيء او مرفوعه
صفة لكل او منصوبه ظرفا لقوله بمقدار او ظرفا للاستقرار الذي تعلق به
الجار لوقوعه خبرا عالم الغيب وهو ما غاب عن كل مخلوق والشهادة وهو ما
يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب
ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس الكبير اي العظيم المتعال
عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف بالعلم الكامل
والقدرة التامة وقرا ابن كثير في الوقف والوصل بالياء بعد اللام والباقون بغير ياء
وقفا ووصلا ولما كان علمه تعالى شاملا لجميع الاشيا قال تعالى سواء منكم
اي في علمه تعالى من اسر القول اي اخفى معناه في نفسه ومن جهر به اي اظهره
فقد استوى في علمه تعالى السار بالقول والجاهر به ومن هو مستخف اي مستتر
بالليل اي بظلامه وسارب اي ظاهر بذهابه في سربه بالنهار والسرب
بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال ابن عباس سواء ما اضمرته القلوب
واظهرته الالسنة وقال مجاهد سواء من يقدم على القبائح في ظلمات الليل
ومن ياتي بها في النهار الظاهر على سبيل التواري والضمير له يعود الى من في
قوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل او الانسان
معقبات اي ملائكة تعقبه والذي عليه الجمهور ان المراد بالملائكة الحفظة
وانما صح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار
وبالعكس واما لاجل ان يتعقبون اعمال العباد ويتبعونها بالحفظة والكتابة
وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة
الليل والنهار روي عن عثمان انه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من
ملك فقال صلى الله عليه وسلم ملك عن يمينك للحسنات وهو امير على الذي
على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال
لصاحب اليمين اكتب قال لا لعله ان يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات
فاذا قال ثلاثا قال اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين ما اقل مراقبته لله واستحياه
منا فهو قوله تعالى له معقبات من بين يديه اي قدامه ومن خلفه اي وراءه
وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لربك رفعك وان تجبرت قصمك
وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا يدع الله يدع الحية
في فيك وملك على عينيك فهذه عشرة املاك على كل ادمي ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار فهم عشرون ملكا على كل ادمي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه